

التشييع حجازي المحتد والمولد

<"xml encoding="UTF-8?>



التشييع حجازي المحتد والمولد؛ إذ فيه نشأ، وفي تربته غرست شجرته، ثم نمت وكبرت، فصارت شجرة طيبة ذات أغصان متّسقة وثمار يانعة. وفيه حث النبي الأكرم - صلى الله عليه وآلها وسلم - على ولاء الإمام علي بن أبي طالب - عليه السلام - وسمى أولياءه شيعة، وحدّث بحديث الثقلين، وجعل أئمة أهل البيت قرناً الكتاب في العصمة ولزوم الاقتفاء والطاعة، وفيه رقى النبي - صلى الله عليه وآلها وسلم - المنبر الذي صنعوه من رحال الإبل وأخذ بيده وصيّه ووليّ عهده على المرتضى وحمد الله وأثنى عليه وقال: «ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» فقالوا: اللهمّ بلّى، ولما أخذ من الجمع المحتشد بالإقرار بأولويّته على النفس والنفيس عرّف عليّاً خليفة بعده وقال: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» ونزل من المنبر ثم نزلت آيات من الذكر الحكيم تشير إلى هذه البيعة وتوّكّدّها، ومن ثم تبودلت التهاني والتحيات بين الإمام والصحابة 1.

وقد أشار إلى بعض ما ذكر مؤلّف خطط الشام وقال: «إنّ النبي - صلى الله عليه وآلها وسلم - هو الذي حثّ على ولاء عليّ وأهل بيته - عليهم السلام - وهو أول من سمي أولياء بالشيعة، وفي عهده ظهر التشييع وسمى جماعة بالشيعة 2.

ولما ارتحل النبي الأكرم - صلى الله عليه وآلها وسلم - إلى دار البقاء تناصي أولو القوّة والمنعة من الصحابة عهد النبي الأكرم - صلى الله عليه وآلها وسلم - فحالوا بين النبي - صلى الله عليه وآلها وسلم - وأمنيته كما حالوا بين أمته وإمامها، فتدارلوا كرّة الخلافة بينهم، وأخذوا بمقاليد الحكم واحداً بعد آخر، والإمام منعزل عن الحكم، لا عمل له إلّا هداية الأمة وإرشادها ببيانه وبيانه وقلمه وبنائه.

ولقد كان الذي دعا عليّاً إلى السكوت والانحياز، هو مشاهدة ظاهرة الردّة الطارئة على المجتمع الإسلامي عن طريق مسيلمة الكذاب، وطليحة بن خويلد الأفّالك، وسجاح بنت الحرت الدجّالة، وأتباعهم الرعاع الذين كانوا على الدين الفتّي خطراً جدّياً كان من الممكّن أن يؤدّي إلى محقّ الإسلام وسحق المسلمين. ويحدّث عن هذه الحقيقة الإمام في رسالته التي أرسلها مع مالك الأشتر إلى أهل مصر، حيث يقول فيها: «فأمّسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محقّ دين محمد - صلى الله عليه وآلها وسلم - فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم» 3.

رأى الإمام أنّ صيانة الإسلام وردّ عادية الأعداء تتوقّفان على المسالمة والموادعة، فألقى حبل الخلافة على غاربها،

تقديماً للأهـم على المـهم، وتبـعـته شـيعـته صـابـرـين عـلـى مـضـضـ الـحـيـاة وـمـرـهاـ. بـقـيـ الإـلـمـامـ مـنـعـزـلاـ عـنـ الـحـكـمـ قـرـابـةـ رـبـعـ قـرـنـ إـلـىـ أـنـ قـتـلـ عـثـمـانـ فـيـ عـقـرـ دـارـهـ، وـاـنـتـالـ النـاسـ إـلـىـ دـارـ عـلـيـ مـنـ كـلـ جـانـبـ مـجـتمـعـينـ حـوـلـهـ كـرـبـيـضـةـ الـغـنـمـ، يـطـلـبـونـ مـنـهـ الـقـيـامـ بـالـأـمـرـ وـأـخـذـ مـقـالـيـدـ الـحـكـمـ، وـفـيـهـمـ شـيعـتهـ الـمـخـلـصـونـ الـأـوـفـيـاءـ، فـلـمـ يـرـ بـدـأـ مـنـ قـبـولـ دـعـوـتـهـ لـقـيـامـ الـحـجـةـ بـوـجـودـ الـنـاـصـرـ 4ـ.

وـلـمـ نـكـثـ النـاكـثـونـ الـبـيـعـةـ، وـقـادـواـ حـبـيـسـةـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ «ـعـائـشـةـ»ـ مـعـهـمـ إـلـىـ الـبـصـرـةـ، اـرـتـحـلـ إـلـيـهـ بـأـنـصـارـهـ وـشـيـعـتـهـ إـلـىـ الـعـرـاقـ إـلـاـ قـلـيـلـاـ بـقـوـاـ فـيـ الـحـجـازـ لـقـلـعـ مـاـدـدـ الـفـسـادـ قـبـلـ أـنـ تـسـتـفـحـلـ، وـلـمـ قـلـعـ عـبـنـ الـفـتـنـةـ، اـسـتـوـطـنـ إـلـمـامـ الـكـوـفـةـ، وـاـسـتـوـطـنـهـاـ مـعـهـ شـيـعـتـهـ، وـصـارـتـ الـكـوـفـةـ عـاصـمـةـ الـتـشـيـعـ، وـمـعـقـلـهـ، وـفـيـهـاـ نـمـاـ وـأـيـنـعـ وـأـثـمـ وـمـنـهـ اـنـحـدـرـ إـلـىـ سـائـرـ الـبـلـدـاـنـ، بـعـدـ مـاـ كـانـ الـحـجـازـ مـهـبـطـ الـتـشـيـعـ وـمـغـرـسـهـ وـمـحـتـدـهـ. فـكـانـ حـجـازـيـ المـحـتـدـ وـالـمـغـرـسـ، عـرـاـقـيـ النـشـوـءـ وـالـنـمـوـ، وـلـمـ يـكـنـ يـوـمـ ذـاـكـ يـتـظـلـلـ فـيـ ظـلـالـ الـتـشـيـعـ إـلـاـ عـرـبـيـ صـمـيمـ، مـنـ عـدـنـانـيـ وـقـحـطـانـيـ، وـلـمـ يـكـنـ بـيـنـهـمـ فـارـسـيـ وـلـاـ بـرـبـيـ الأـصـلـ وـلـاـ شـعـوبـيـ الـعـقـيـدـةـ يـمـقـتـ الـعـرـبـ. وـهـكـذـاـ فـإـنـاـ يـمـكـنـنـاـ القـوـلـ بـأـنـ مـهـدـ الـتـشـيـعـ الـأـوـلـ كـانـ فـيـ أـرـضـ الـحـجـازـ الـطـيـبـةـ وـمـنـهـاـ دـرـجـ وـاـشـتـدـ حـتـىـ تـسـامـقـ وـتـطـاـوـلـ وـأـصـبـحـ لـهـ وـجـودـ فـيـ كـلـ بـقـاعـ الـمـعـمـورـةـ.

وـلـاـ زـالـ الشـيـعـةـ يـعـيـشـونـ مـعـ إـخـوـانـهـمـ الـمـسـلـمـينـ فـيـ مـكـةـ الـمـكـرـمـةـ، وـالـمـدـيـنـةـ الـمـنـوـرـةـ، وـحـضـرـمـوـتـ، وـنـجـرـانـ، وـغـيـرـهـ، كـمـاـ تـوـجـدـ فـيـ أـنـحـاءـ مـنـ أـرـضـ الـحـجـازـ الـكـثـيرـ مـنـ الـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ الشـيـعـيـةـ أـمـثـالـ بـنـيـ جـهـمـ، وـبـنـوـ عـلـيـ، وـغـيـرـهـ. وـأـمـاـ الـمـنـطـقـةـ الـشـرـقـيـةـ كـاـلـإـلـحـسـاءـ وـالـقـطـيـفـ وـالـدـمـمـ، فـأـكـثـرـ سـكـانـهـاـ مـنـ الـشـيـعـةـ 5ـ.

1. لقد أفرد علماء الإمامية كتاباً كثيرة أشاروا فيها إلى بيعة الغدير التي حدثت بعد عودة رسول الله - صلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ وـسـلـمـ - وـالـمـسـلـمـينـ مـنـ حـجـةـ الـوـدـاعـ، وـقـدـ بـسـطـوـاـ القـوـلـ فـيـهـاـ وـعـضـدـوـهـاـ بـالـأـدـلـةـ الـقـوـيـةـ وـالـثـابـتـةـ، كـمـاـ أـنـ كـتـبـ أـهـلـ السـنـنـ حـافـلـةـ بـهـذـاـ الـخـبـرـ تـصـرـيـحـاـ وـإـشـارـةـ إـلـيـهـ، فـمـنـ شـاءـ فـلـيـرـاجـعـ.

2. محمد كرد علي، خطط الشام 5: 251.

3. الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب 62.

4. إشارة إلى قوله - عليه السلام - : «أما والذى فلق الحجة وبرا النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر...لأنقيت حبلها على غاربها» نهج البلاغة، الخطبة 3.

5. دور الشيعة في بناء الحضارة الاسلامية، لآلية الله الشيخ جعفر السبحاني، ص 96-99، بيروت: دار الاصوات، 1993م.